# سياسة الهجرة والتهجير أسلوب إستعمارى فى الجزائر

**أ. مزيـــان وشـــن**
**جامعة محمد بوضياف ـ المسيلة**

بالرغم من أهمية موضوع هجرة الجزائريين ، أو تهجيرهم من وطنهم إلى جهات أخرى في العالم، فإن الأبحاث التي عالجت هذا الموضوع قليلة جدا في البحث التاريخي الاجتماعي ، خاصة ما كتب باللغة العربية ، وما كتب باللغة الأجنبية يعد من وجهة نظر أخرى ، لا علاقة له بحقيقة سوسيولوجية الشعب الجزائري وتاريخه .

وفى الآونة الأخيرة اتسمت الدراسات حول الموضوع بمزيد من الأهمية والعناية ، ربما أكثر من أي وقت مضى ، لكون المجتمع الجزائري اليوم في حاجة إلى هذا الماضي من حياة الجالية الجزائرية ، كمجموعة بشرية من أبناء الوطن الذين هم طاقة حيوية ، صنعت مجد الأمة والاقتصاد والسياسة ، وأسهمت في خلق الحدث عبر سيرورة التاريخ الوطنى.

وهو الموضوع المثير للبحث والتنقيب والمناقشة في هذه الندوة ، وعليه نشكر كل من فكر فى إثرائـه، وسعى لإحياء مآثر جاليتنا ونضالها ضد الإحتلال وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور اسماعيل سامعي الذي ما فتئ يخص البحث العلمي بأفكار نيرة وبمواضيع جادة ، تدخل فى صميم إهتماماته بكونه باحث في قضايا الحضارة الإنسانية ، وقد وجه انتباهنا لهذا الموضوع ، الذى يحمل شجون الماضى وتطلعات الحاضر والمستقبل ، وشرفنا بحضور هذه الندوة التي تجمع كوكبة من الباحثين والأساتذة الفضلاء لنناقش موضوع الهجرة والتهجير عبر تاريخ الجزائر .

وسأحاول أن أقدم في هذا المقام الكريم عرضا موجزا عن طبيعة الهجرة وتهجير فئة من المجتمع الجزائري بمنطقة الهضاب العليا بعد ثورة 1871م ، أو ما يعرف بثورة المقراني والحداد ، وسأركز على بعض النقاط أراها أساسية فى الموضوع هي : الإحتلال ، استيطان المعمرين ، المحاكمات ، المصادرات، الهجرة وتهجير الجزائريين.

### أ ـ الإحتـــلال

حدد العلماء والمؤرخون فى أوربا الثورة الفرنسية كمعلم تاريخى يفصل بين مرحلة التاريخ الحديث التى تنتهى فى تقديرهم سنة 1789م وهي السنة التى قامت فيها الثورة الفرنسية تحت شعار : الحرية ـ المساواة ـ الإيخاء ، وتبدأ فيها مرحلة التاريخ المعاصر التى لزلنا نعيشها إلى الآن ، وإذا كان شعار الثورة الفرنسية يحمل هذا المعنى السياسى البراق ظاهريا ، فإن حقيقته فى والواقع العملى عكس ذلك تماما ، لأن فرنسا افتتحت مرحلة التاريخ المعاصر بأكبر جريمة إنسانية باحتلالها للجزائر عام 1830م ، مما ينفى حقيقة شعار ثورتها ، ويقيم الدليل القطعي على أن همجية برابرة فرنسا وعدوانيتهم للشعوب، لا تمت بصلة لما كانوا يقولون.

### ب ـ مرجعية الأرض الجزائرية في منظور الاحتلال الفرنسي :

حاولت سياسة الاحتلال الفرنسي أن تبرر استعمارها للجزائر، بمرجعيات تاريخية وقانونية وعقدية ويتجسد ذلك فيما يلي :

1 ـ إن الأرض الجزائرية أرض مشاعة للجميع ، ودخول الفرنسيين إليها كدخول الفينييقيين ، والرومان ، والوندال والبيزنطيين ، والعرب الفاتحين ، والعثمانيين الأتراك ، ويقولون أن حتى العنصر الأمازيغي من أصول أوروبية مهاجرة إلى شمال إفريقيا .

2 ـ تمسكها بالقانون العثماني ، أن الأرض ملك العموم (الدولة) في التشريع الإسلامي[1].

3 ـ إلحاق البلاد الجزائرية كجزء من البلاد الفرنسية بمقتضى المرسوم الملكي (شارل العاشر) المؤرخ في 22 جويلية 1834م .

### ج ـ تجسيد فرنسا إقامة وطن قومي على أرض الجزائر :

بهذه المرجعية أقامت فرنسا وطنا قوميا لها بأرض الجزائر ، وجسدت بسياستها الاستعمار الاستيطاني للبلاد ، بحيث أصبح الإنسان الجزائري في نظر القانون الفرنسي رعية من الرعايا ، لا مواطنا فرنسيا ولا وطنيا جزائريا ، ولا مشردا يستحق الرحمة ، وفي نظر المعمرين عبد يستغل في الأعمال الشاقة ، وفي نظر نفسه يرى أنه أجنبي في أرضه مسلوب السيادة لا كيان له .

### د ـ الهجرة الفرنسية والاستيطان :

تجدر الملاحظة أن مجال استيلاء فرنسا عل الأرض الجزائرية ، كان منذ السنوات الأولى من الاحتلال ، وهي سياسة غرضها احتواء الأرض والسيطرة على الممتلكات ونهب المزارع ، ثم الاستيطان المنظم بدعم استعماري ، وهي سياسة ذات طبيعة واحدة ، وإن تعددت أساليبها وتنوعت ظروفها ، سلما أو قهرا لسلب الأراضي[2].

وهذا مثال حول مذكرة منح القطع الزراعية مجانا بالجزائر ، من طرف وزارة الحربية الفرنسية قسم شؤون الجزائر :

(...على الأشخاص الراغبين في الإقامة بالجزائر بصفتهم معمرين مستفيدين ضمن المراكز السكنية والقرى الفلاحية التي تشيدها الحكومة الفرنسية ، توجه طلباتهم مباشرة إلى وزارة الحربية ، أو عن طريق الولاة وهذا أفضل ، فإن المبلغ المقدر لكل عائلة غير كبيرة قد يتراوح ما بين 1200 إلى 1500 فرنك حين حيازته لقطعة أرض بالجزائر) .

وفى صورة قبول الطلب يدمج صاحبه ضمن المستفيدين بالأرض ، وبعد ذلك يعطى المستفيد رخصة سفر مجانا ، هو وعائلته وكل من يشارك في مشروعه من الإبحار إلى الجزائر ، وحين وصول المستفيد تسلم له الأرض لإقامة منزله وإسطبلاته ، أما القطعة الثانية فهي للحرث والزراعة مساحتها من 04 إلى 21 هكتار ، حسب قدرة المعمر ، وفي حالة توفر إمكانيات أكبر للمعمر فإن القرار الخاص بمنحه قطعة أرض أوسع[3] .

وأن الأراضي بجميع أنواعها التي يتحصل عليها الأوربيون معفاة من كل الضرائب العقارية ، كما أن القرى والمساكن تحميها معسكرات وفرق من الجندرمة زيادة على تسليح السكان على شكل ميليشيات ، مع ضمان طرق المواصلات بين التجمعات السكانية[4] .

جدول بنتائج الاستيطان الرسمي والمصادرات

ما بين 1861م - 1881م

| المدة الزمنية | قرى فلاحية | المساحة بالهكتار | السكان الفرنسيون |
|---|---|---|---|
| 1861م ـ 1870م | 23 . ق | 73.211 . هـ | 129.898 |
| 1871م ـ 1881م | 207 . ق | 233.369 .هـ | 267.672 |

نموذج من شهادة تسليم أرض بمنطقة لامبيز بتاريخ 6 أفريل 1862م

(يشهد والي ولاية قسنطينة بأنه قد تم تسليم من مصلحة الأملاك ، إلى مصلحة الاستيطان المحضر المؤرخ بتاريخ 30 أكتوبر و 05 نوفمبر 1862م ، أرض بمنطقة لامبيز الواقعة بدائرة باتنة العسكرية ، رقم التسجيل الثابت 02 ، طبيعة العقار أرض فلاحية وآثار ، السعة الإجمالية 4.733 هكتار و10 آر)[6] .

وهذه مقتطفات من رسالة نابليون الثالث إلى ماكماهون بتاريخ20/ 06/ 1865م حول ما يتلق بمصادرة الأراضي والإستيطان .

(... لقد طرد السكان من أراضيهم التي هي ملك لهم منذ عهد سحيق ، كما أبعدوا من السهول والأراضي الصالحة فالتجؤوا إلى الجبال ، حيث منعتهم إدارة الغابات استغلال هذه الأماكن ، التي اتخذوها فيما سلف مراع لمواشيهم ، وبشأن تنشيط الاستيطان ، تم تطبيق إجراءين هما :

أ ـ يتمثل الأول في تأسيس مراكز اصطناعية وما تستوجبه من العناية بالمعمرين (الكولون) من حيث معيشتهم وعملهم .

ب ـ منح القطع الأرضية بالمجان ، وذلك مما يلحق بالأهالي خطر محقق من غير تعويض من حيث التوسع الاستيطاني)[7] .

من خلال هذه العبارات نستشف الإعتراف الرسمى من حاكم فرنسا نفسه ، الذى يدلى بحقيقة الأفعال الإجرامية التى اقترفها ساسة فرنسا ومعمريهم فى حق المجتمع الجزائرى وذلك خير الأدلة .

وحسب تقرير الخبراء فإن سياسة القائد العسكري راندون التوسعية ، قد مهدت الطريق لاستلاء الحكومة على ما لا يقل عن 1.500.000 ألف هكتار من أجود الأراضي بالجزائر ، وبعد تحقيق ذلك تحولت أنظار الجالية الفرنسية إلى مسألة تعمير الجزائر بعناصر أوروبية قادرة على استغلال الأرض ،والاستفادة من الطاقة البشرية المتوفرة بأرخص الأثمان بالجزائر ، وكان الفرنسيون يطمحون إلى جلب أكثر من ستة ملايين أوروبي معمر ما بين سنتي 1857م ـ 1875م إلا أن الرقم الذي حققوه خلال هذه المدة هو 1.600.000 ألف معمر[8] .

وقد رسموا خطة تتلخص في أخذ نصف أراضي الجزائريين سواء كان بإبعادهم أو عزلهم أو بالمصادرة والقهر ، ثم الاعتماد على الدولة لدعم مشاريع الإسكان والإقامة[9] .

فعلا فقد تضرر القوم من جراء هذه المصادرات التي مست حياتهم الاقتصادية وجعلت الناس يموتون فقرا وجوعا ، وهو ما يمكن أن نتبينه من شكوى جماعة الأهالي ببلاد الأوراس ، فقد ذكر زوزو نصا يوضح ذلك ، نورده فيما يلي :

## شكوى مصادرة الأراضي .

(من جماعة الأهالي يوم 25 مارس 1900م ، اجتمعنا تحت ريسة شيخنا لوشن بن زكري بن المسعود ، نحن أعضاء جماعة دوار واد مريال ببلاد الأوراس يوم 25 مارس 1900م لتنظروا في قضية البلاد التي يطلب من الحاكم أن تسلموا إليه عدد 1350 أقطار ، و 45 آر من الأراضي ، وبعد تأملنا في الأمر وجدنا في ضررنا كثيرا ، لأن

دوارنا لم يكن فيه حرث كثير في التراب الذي عندنا ، والنصف تمسكوا فيه حكام الغيب ، والنصف الباقي تريد الدولة تنزعوا منا ، ولا يبقى لنا شيء)[10] .

من هذه الشكوى الجماعية ، تتضح لنا إرادة السلطات الفرنسية فى تفقير الجزائرين وإذلالهم ، وذلك بسلب منهم مورد رزقهم المتمثل فى أرضهم الباقية .

تشير صحيفة الممرن الجزائري moniteur algerien عدد 250 يوم 23 سبتمبر 1836م، فى تقديمها لإحصاءات رسمية، عن عدد المهاجرين الفرنسيين إلى الجزائر في السنوات الأولى من الاحتلال وذلك حسب الجدول التالي :

| 1831م | 1832م | 1833م | 1834م | 1835م | 1836م |
|---|---|---|---|---|---|
| 2.199 ن | 2.383 ن | 590 ن | 657 ن | 635 ن | 1.756 |

**المجموع : 8.220 نسمة**

وفي العدد 253 من نفس السنة أوردت نداء إلى كل من يرغب في الهجرة إلى الجزائر ، من البطالين والرعاع وحثالة المجتمع الفرنسي ، وأوباشه والغوغاء منهم وشذاذ الآفاق والمغامرين ، واللقطاء والمجرمين وغيرهم ، تشرح لهم الفوائد التي يجدونها في الجزائر ، بمجرد وصولهم ، وهذا نموذج عن الإعلان :

إعلان إلى المهاجرين

(ليكن في علم جميع الأشخاص البطالين وغيرهم ممن يريد القدوم إلى الجزائر فإن الحكومة الفرنسية قد استحوذت على جميع أراضي البايليك ، وهي الوحيدة التي بإمكانها أن تتنازل عليها **مجانا** ، وعلى الراغبين أن يتقدموا بطلباتهم ...)[11] .

ورفعت صحيفة فرنسا الجزائرية la France algérienne (1845م ـ 1846م) أنشأها السيد : بيزانسوني besanceni ، شعار : كل شيء بالتوطين وللتوطين ويصرح فيها المارشال بيجو بقوله : (سأسحق الأعراش الثائرة في كل مكان ، وإذا قاومت ولم تخضع ، سأكنسها نهائيا من الجزائر ، وأضع مكانها سكانا آخرين)[12] .

هـ ـ المصادرات بعد ثورة 1871م

بعد الثورة مباشرة قررت السلطات الفرنسية مصادرة جميع أراضي الثوار الذين شاركوا مع المقراني والحداد في ثورة 1871م،حيث صدر القانون العقاري القاضي بمصادرة 2.400.000 هكتار من أجود الأراضي في الهضاب العليا بشرق الجزائر ، وقد ضربت فرنسا بشدة دون شفقة على أيدى الذين شاركوا فى المقاومة وأرغمتهم على دفع تعوضات الحرب ، وقد طالت المصادرات أملاك كل من شكت فى نواياه ضدها ،والذين شاركوا فى الثورة،حيث تمت المصادرات بالشكل التالى:

- صودرت أملاك وأراضى جماعية لأكثرمن330 قبيلة ودوار،تشمل 5948 رئيس عائلة ، وعزلوا من وظائفهم بتهمة المشاركة فى الثورة ، وبلغ مجموع مساحة الأراضى المصادرة 611.130 هكتار .

- صودرت أملاك وأراضى بصورة فردية ،**لعدد** 3.601 رئيس عائلة ، بلغ مجموع المساحة المصادرة 54.461 هكتار .

ومن الطبيعى أن هذه المصادرات مست عائلات كبيرة من أبناء مناطق واسعة بالشرق الجزائرى ، بقرار من المحافظ فوق العادة - اليكسيس لامبير- يوم 25 مارس 1871م والذى صادق عليه وزير الداخلية آنذاك يوم 07 ماي من السنة نفسها ، وتشكلت لجان التعويض والغرامات ، وفى يوم 03 أفريل 1872 تأسست بالجزائر العاصمة وقسنطينة لجان أخرى للنظر فى قضية مصادرة الأملاك والعقارات وتطبيق القرارات التى صدرت بشأنها[13] .

وإلى جانب مصادرة الأراضي فرضت السلطات الفرنسية الاستعمارية ضرائب الحرب كانت فادحة على الجزائريين ، هذه الضرائب التي أتعبتهم كثيرا وأفقرتهم فى حياتهم ، وهذا نموذج عن بعض الرسائل التي كتبت إلى أهالي عرش بني مليكش ، من الحاكم بعمالة برج بوعريريج .

رسالة حول ضريبة الحرب على عرش بني مليكش بتاريخ 11 نوفمبر 1871م (إلى كافة شيوخ عرش بني مليكش ، السلام عليكم وبعد : فالذي يكون في علمكم أنكم تخبروا جميع الناس بأن يشرعوا في الحرث كالأعوام الماضية ، كل واحد يحرث في ترابه ، وأيضا فلا بد منهم أن يعزموا بدفع الخطية والسلاح المضروبين على جملة عرشكم ، فالواجب على جملة العرش أربعة وتسعين وإثنا عشرة ألف فرنكية ، وخمسمائة من التعن وثمانمائة بندقية ، فاحرصوا بالسلاك والدفع ، وعلى هذا يكون العمل ، عن إذن الأرفع السيد الكمانده الحاكم بعمالة برج بوعريريج ، ونيابة السيد القبطان شاف بيرو عرب) رسالة حول ضريبة الحرب على عرش بني عباس المؤرخة في11 نوفمبر 1871م (... لا بد عليكم أن تعزموا بدفع الخطية المضروبة على كافة عرشكم ، فالواجب عليكم على جملة العرش ، مائتين وثمانية وخمسين ألف وأربعمائة وعشرة فرنكية ، وثلاثة آلاف بندقية فاحرصوا بالسلاك والدفع ، وعليه يكون العمل ، عن إذن الأرفع السيد القبطان ، شاف بيرو عرب)[14] .

ومن هذه الضرائب الحربية المجحفة والمسلطة على الناس التي فرضت عليهم بالقوة ، حيث أفقرتهم فقرا شديدا إلى درجة موت البعض منهم جوعا ، وهو ما يتضح لنا في عريضة شكوى قدمها أهل صنهاجة بمنطقة صور الغزلان يطلبون من الحاكم العام التخفيف منها ، وهي العريضة المؤرخة في 10 أكتوبر 1871م .

رسالة عرش صنهاجة إلى الحاكم العام يطلبون منه التخفيف من ضريبة الحرب

(... إن خدامك عرش صنهاجة بعالة صور الغزلان ، من حين جعلت عليهم الجزية كما هي الجارية على جميع العمالات ، نراهم سيدنا باقين منكسين القلوب ومحيرين من كل حرقت ديارهم وابتاعت أموالهم باقيين بالجوع ، من كون الزرع الأخضر أكلته المحال (الجيوش) وقد دفعنا إليكم ما تبعنا به ، وبقيت لنا عن جميع الخطية (غرامة الحرب) إثنا عشرة ألف فرنكية ، قد عسر علينا فيها دفعها ، ولم نجد منبع في خلاصها .

نطلب منكم تنعم علينا بتركها لأنك ذو جود وفضل ورحمة ، ونحن خدامك ، ونخبرك أن الناس ابتدؤوا بالموت من الجوع ، وإن أردت سيدنا تبعث من تأمنه من قبلك يتضح حال الجميع ، ونخبرك أن بلادنا انقطع فيها العيش ، وعليك ألف سلام من كافة خدامك وتراب أقدامك ، كافة عرش صنهاجة مشاييخ وفلاحين)[15]

ومن هذه العريضة يتضح لنا مدى تعسف السلطات الفرنسية في فرضها ضرائب حرب جائرة أوصلت الناس إلى أن يموتوا جوعا .

ر ـ المحاكمـــات

وقد أسفرت ثورة 1871م على ما لا يقل عن 60 ألف شهيد ، ومحاكمة عشرات الآلاف ، وإعدام حوالي ستة آلاف جزائري ، وتشريد الآلاف منهم ونفي المئات منهم ، وقد وصل مجموع المنفيين 80 ألف و500 جزائري ، وهذا الرقم يعكس مدى الأضرار البليغة التي قام بها برابرة فرنسا الدمويين حيث دامت الثورة سنة وثلاثة أشهر وقعت فيها 340 معركة ، وخسرت فرنسا ما يقدر بـ 37 مليون فرنك ، وقد شاركت في الثورة 313 قبيلة ، حيث توسعت رقعة الثورة إلى الجزائر العاصمة وشرشال وعين دفلى غربا ، وإلى قسنطينة وجيجل شرقا ، ومن بجاية شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا [16].

أما بالنسبة لزعماء الحرب من المقرانيين وأسرة الحداد فكانت نتائج الحرب عليهم وخيمة ، سواء كان من حيث مصادرة أملاكهم ، أو من حيث محاكمتهم وسجنهم ونفيهم .

فبالنسبة لعائلة الشيخ محمد أمزيان الحداد[17] صدر في حقها قرار 208 الخاص بأملاك الأسرة ، وهذا نصه : بعد التحريات حكمنا بما يلي :

الفصل الأول : قد وضعنا الثقاف على جميع الأملاك المنقولة وغير المنقولة المنسوبة للشيخ الحداد مقدم طريقة الشيخ عبد الرحمن القاضي بدشرة صدوق بني عيدل من دائرة بجاية[18] ، ومن هنا اعتبرت عائلة الحداد فقيرة لا تختلف كثيرا عن وضع بقية الأهالي ، ومع ذلك استعملت السلطات الفرنسية القسوة ضدها ، لمحاولة قتل تأثيرها الروحي عليها ، أو على الأقل إحكام الحصار حتى لا ينتشر ويعم مرة أخرى [19].

ولما كانت المصادرات غير كافية في نظر السلطات الفرنسية لعقاب أسرة الحداد فقد نظمت محاكم خاصة قدمت إليها من وقع بيدها من عائلة الحداد ، لينالوا عقابا آخر فضلا عن مصادرات أملاكهم ، وذلك مما يثبت أن غرض السلطات الفرنسية هو الانتقام وليس التحقيق أو تطبيق قانون العدالة ، حيث وقع جميع أفراد العائلة في قبضة الفرنسيين ، وتمت المحاكمة على أسا أنهم قتلة ومجرمون وأشرار ، وقد استغرق إعداد المحاضر والملفات حوالي سنتين ، وتأسست لجان المحاكمات من المحلفين الذين كانوا يحبذون تطبيق أحكام قاسية ضد الثوار ، وقد قدم الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد وأبناه عزيز وحمد بمحكمة قسنطينة ، وما يثير الانتباه هو طبيعة الاتهامات التي حاول المحضر أن يلصقها بالشيخ الحداد نفسه ، فقد ذكر المحضر أن عمره ثمانون عاما ، فحكم عليه بخمس سنوات سجنا نافذة في زنزانة منفردة ، وبعد خمسة أيام توفي ، بينما أبناه عزيز ومحمد نفيا إلى كاليدونيا[20] .

## و ـ الهجرة والتهجير بعد ثورة 1871م

ومن هذا نفهم أن سياسة التجريد من الثروة الأرضية التي تعد المصدر الرئيسي للعيش ، كانت الدافع الكبير للهجرة في بادئ الأمر ، وقد وجد الإنسان الجزائري نفسه أمام خيارين هما :

ـ العيش في بؤس مدقع تحت ضغط الاحتلال والاستغلال .

ـ أو الهجرة للبحث عن مكان آمن ولقمة عيش متوفرة .

وبالرغم من أنه ليس هناك تاريخ محدد لبداية هجرة الجزائريين بشكل ملحوظ سواء كان من الجزائر إلى البلدان العربية أو إلى بلدان أوروبا ، إلا أنه نستطيع بما ليدنا من نصوص في متناولنا الآن أن نقول أن سنة 1871م تعتبر سنة حاسمة بالنسبة لتغيير الخريطة الاجتماعية في الجزائر.

### 1 ) ـ الهجرة والتهجير إلى فرنسا وبلدان أوروبا.

وفي بادئ الأمر منعت فرنسا الجزائريين للهجرة نحو فرنسا بمرسوم مؤرخ في 06 ماي 1874م ، إلا إذا حصلوا على إذن خاص بالسفر والعمل هناك[21] ، إلا بعد الحرب العالمية الأولى حين خسرت فرنسا ما يزيد 1.800.000 شاب ، ونتج عن ذلك نقص في اليد العاملة الشابة ، وقررت حينها الحكومة الفرنسية السماح للجزائريين بالهجرة إلى فرنسا ، وقد وصل عدد الجزائريين الذين هاجروا نحو فرنسا عام 1922م ما يزيد عن 100 ألف جزائري ، وتواصلت الهجرة ما بين سنتي 1931م إلى 1941م حيث بلغ عدد المهاجرين الجزائريين 154.970[22] .

كما كانت حالة الهجرة والتهجير ملزمة على الشباب الجزائري نحو فرنسا وغيرها من دول أوروبا ، حيث يوضح لنا الجدول أدناه عدد المهجرين من الشباب الجزائري أثناء وبعد الحرب العالمية الأولى إلى هذه البلدان :

| السنــة | العــدد |
|---|---|
| 1914 م | 7444 ن |
| 1915 م | 20,092 ن |
| 1916 م | 30,755 ن |
| 1917 م | 34,985 ن |
| 1918 م | 23,340 ن |

المجموع : 05 سنوات 116,616 نسمـة [23].

أصبح وضع الجزائريين بإقليم الهضاب العليا بشرق الجزائر حرجا للغاية ، بعد فشل ثورة 1871م ، حيث تصدت فرنسا لهم بالانتقام والتشريد والنفي من البلاد وأمام هذا الوضع برزت ظاهرة الهجرة والتهجير التي طالت آلاف الجزائريين من مختلف أنحاء الوطن ، وأمام التدابير القمعية والإجراءات الاستثنائية ، عبرت طائفة من الجزائريين عن استياءها في البقاء بأرض الجزائر نظرا لتعقب دولة الاحتلال كل أفراد الشعب الجزائري بالتقتيل والتنكيل والتشريد، ثم بحجز أراضيهم ومصادرة أملاكهم ، فالتجؤوا أمام هذا الوضع إلى الرحيل عن البلاد فرادى وجماعات ، وقد يكون الأمر تهجيرا مقصودا لتخلو الأرض من أصحابها، وتعمر بالمعمرين الفرنسيين الجدد ، ويبدو لنا ذلك في العمليات التالية :

1 ـ المهجرون نحو كاليدونيا [24].

هناك تضارب في الأرقام فيما يخص مجموع الجزائريين المنفيين إلى جزيرة كاليدونيا الجديدة ، على الأقل بين السيد بسام العسلي الذي قدم عدد 104 جزائري والسيد الزوبير سيف الإسلام الذي قدر العدد بـ 500 منفي جزائري ، إلا أن الراجح في ذلك هو عدد 104 ، لكون سي عزيز الحداد في رسالته المؤرخة في جمادى الأولى 1294هـ الموافق لشهر جوان 1877م إلى الحسين بن شعلال وبعض من أهله في الجزائر يقول أن العدد الإجمالي للمنفيين بجزيرة كاليدونيا يربو عن خمسة آلاف منفي ، ومنهم مائة وأربعة (104) من الجزائريين[25] ، وجاءت عملية النفي بناء على المحاكمة التي حكم بها الجزائريون بعد الثورة ، حيث كان الحكم على بومزراق بالإعدام ، وبعد ذلك ألغاه رئيس الجمهورية الفرنسي يوم 19 أوت 1873م وعوضه بالنفي البعيد خارج الجزائر ، وتهجيره إلى كاليدونيا الجديدة مثلما حكم على الشيخ عزيز

وأخيه محمد ، وعلي أوقاسي ، وبعض المريدين الآخرين بنفس الحكم إلى مدينة لوميا عاصمة كاليدونيا بالمحيط الهادي [26].

فأما الشيخ محمد الحداد فقد ركن إلى حياة الهدوء والدعة ، واستسلم للظروف ولم يظهر له أي نشاط أو حركة منذ وصوله إلى كاليدونيا ، بينما أخوه سي عزيز قام بعدة نشاطات تتمثل في مراسلات كثيرة إلى أهله وأصدقائه بالجزائر ، وكان يتابع بشغف أخبار البلاد رغم المسافة البعيدة ، ويتشوق للعدوة إلى الوطن ، ولم يصبر على الضيم فهرب في سفينة زيت إنجليزية إلى سيدني الأسترالية عام 1881م ، ومنها توجه إلى جدة بالحجاز ، ومنها إلى مكة ، وفي بداية التسعينيات من القرن 19م حصل له أحد أبنائه على إذن العودة إلى الجزائر ، وفي طريق العودة توجه إلى فرنسا ، حيث أقام بها قليلا ، وفي مرسيليا توفي مسموما ، ويقال أنه مات مسموما ، ونقل جثمانه إلى قسنطينة حيث وري التراب بجوار أبيه الشيخ محمد أمزيان الحداد [27].

بينما بومزراق صدر العفو عنه عام 1881م ، وذلك بعد وقوفه إلى جانب السلطات الفرنسية بالجزيرة ، لما قامت ثورة الكاناك ضد الحكومة الفرنسية ، حيث قام بدور كبير في استرداد عدة مدن من الثوار كمدينة كاناك وكانالا وحماية العاصمة لوميا من السقوط بيدهم ، فقدرت السلطات الفرنسية موقفه ومنحته العفو لكنه لم يعد إلى البلاد وفضل البقاء في كاليدونيا رغم عودة الكثير من الجزائريين وقد رفضت زوجاته الثلاثة البقاء معه ، وطلبن الطلاق منه ، ولا ندري لماذا رفض العودة مع أهله ورفاقه إلى الجزائر رغم صدور قرار العفو عنه ، وبعد حوالي ربع قرن حصل له ابنه الونوغي بمزراق مفتي تلمسان على إذن العودة للجزائر عام 1904م بعد 31 سنة من التهجير ، وبعد عودته استقر بالجزائر العاصمة إلى أن توفي يوم 13 جويلية 1905م عن عمر يناهز 66 سنة ، وقبره الآن بمقبرة الحامة التي تعرف بمقبرة سيدي محمد [28].

2 ـ المهجرون نحو كورسيكا (جزيرة بجنوب أوروبا تابعة لفرنسا)

وهم الذين عبروا عن رفضهم للاحتلال الفرنسي ، وتم إبعادهم إلى كورسيكا عام 1880م بعد محاكمتهم بتاريخ 07 جانفي 1880م وكان قرار المحكمة كالتالي :

1 ـ سي الهاشمي : من قرية مدروسة ، شيخ زاوية دينية ، ملاحظة : يوصى بنفيه إلى أبعد مكان ممكن من بلاده الأصلي (كورسيكا).

2 ـ عمر بن يوسف : قرية حيدوسة ، مقدم المرابط سي الهاشمي ، ملاحظة : يوصى بنفيه إلى كورسيكا .

3 ـ محمد أمزيان : مقدم المرابط سي الهاشمي، له أتباع كثيرون في قريته ،ملاحظة : يوصى بنفيه إلى كورسيكا .

4 ـ بوبكر بن خالد : مقدم سي الهاشمي ، له نفوذ في القرية ، ملاحظة : يوصى بنفيه إلى كورسيكا[29] .

3 ـ المهاجرون إلى تونس: أغلب الموردين في زاوية الشيخ الحداد تم القبض عليهم ونفيهم إلى كاليدونيا وكورسيكا ، والبعض منهم زج بهم في السجن بأرض الجزائر، بينما أفراد عائلة المقراني فلم يعتقل منهم إلا القليل ، وعلى رأسهم بومزراق كشخصية مهمة ، في حين فر الآخرون إلى تونس كهجرة جماعية[29] ، على إثر المحاكمات التعسفية التي وقعت عليهم والصيغ والتهم المنسوبة إليهم ، فأثر ذلك على أفراد العائلة وتوجهوا نحو تونس في جانفي 1872م ، وكان عددهم يزيد عن 500 شخص موزعين إلى حوالي مائة عائلة ، وذلك وفق ما جاء في رسالة الصدر الأعظم محمد رشدي إلى باي تونس[30] .

يذكر رين أن المقرانيين اتصلوا بالدولة العثمانية لتخصص لهم مبلغا من المال ومكانا بسوريا يلتحقون إليه ، ولكن الدولة العثمانية تماطلت في ذلك ووسعت استشارتها مع القادة الفرنسيين ، وذهب الطلب أدراج الرياح ، ونظرا لضغط فرنسا على باي تونس قام بتوزيعهم على عدة جهات من الأراضي التونسية لكي يشتت شملهم ويمنعهم من التجمع والتكتل ، حيث استقر أولاد عبد السلام في ضواحي ماطر ، وأولاد بالقندوز في قرية الدخلة ، بينما السعيد بن بوداود اشترى المزرعة التي تسمى هنشير باللامين ، وذكر يحي بوعزيز ، أنه عثر على وثيقة تنص على أن الأمير عبد القادر توسط للمقرانيين لدى السلطات التونسية ، وذلك بإرساله لهم رسالتين أحدهما إلى خير الدين باشا ، والثانية إلى الوزير مصطفى خزندار ، يوصيهما خيرا بالمقرانيين، وفيما إذا تعذر ذلك عليهما ، أن يشيرا عليهم بالهجرة إلى بلاد الشام (سوريا) (عسى الله أن ييسر عليهم في بلوغ الأوطار).

وعندما احتلت فرنسا تونس سنة 1881م ، أي بعد 10 سنوات من ثورة المقرانى والحداد، اضطر المقرانيون أن يعلنوا الخضوع والإستكانة، واندمجوا فى الحياة الإجتماعية، حيث اشتغل البعض منهم فى الشركات العامة، ومنهم من انخرط فى الجندية لدى الباي ، ومنهم من توجه نحو النشاط الفلاحى وخدمة الأرض ، فى نواحى باجة ، وتالة والقلعة الجرداء ، وسوق الأربعاء ، ومنهم من آل حاله إلى الفقر ومارس الخماسة والحمالة ، وعانى من شضف العيش والحرمان وبعد استقلال الجزائر عاد الكثير منهم إلى إقليم برج بوعريريج حيث اندمجوا فى الحياة العامة تدريجيا[31].

4 ـ الهجرة إلى بلدان عربية أخرى :

وقد نزحت مئات العائلات إلى بلدان أخرى تاركة أملاكها هروبا من البطش والتنكيل ، وكانت تبدو وجهة الهجرة نحو البلدان العربية الإسلامية أفضل الأماكن يتوجه إليها الجزائريون كسوريا وتونس والمغرب ومصر وتركيا والحجاز ، وقد رحلت عام 1912م من تلمسان وحدها أكثر من 800 عائلة إلى الشام ، ومن بلاد القبائل زواوة 05 ألف شخص إلى البلاد العربية في نفس السنة[32] .

يقول سعد الله :معلقا عن هجرة جماعية للجزائريين بعد صدور قانون التجنيد الإجبارى (...وعندما أصبح واضحا أن قانون التجنيد الإجبارى كان سيصدر لا محالة، باع هؤلاء أملاكهم، وأخذوا نسائهم وأطفالهم ثم غادروا وطنهم ، وأكثر المهاجرين قصدوا سورية ، ومنهم من اتجه إلى فلسطين والحجاز ، وقد عد بعض الكتاب هجرتهم بنحو 20 الف مهاجر من مختلف أنحاء البلاد )[33].

وهنا نلاحظ أن معظم الهجرات خلال القرن 19م كانت نحو البلاد العربية الإسلامية ، وذلك تبعا للصلة الدينية الروحية بين الجزائريين وهذه الشعوب، ويذكر سى عزيز الحداد ، أنه كان يفكر مع أبيه فى الهجرة إلى تونس خوفا من شكوك السلطة الفرنسية على أنهم مساندين للمقرانيين فى ثورتهم ، لأن حاكم بجاية طلب منهم الوقوف معه فى محاربة الباشاغا المقرانى ، فرفضوا ذلك منه ، فسارت بعض الوشايات عليهم ، وتقارير مزيفة أنهم مع الثورة ، ووقعوا بين أمرين ، وأخيرا لم يهاجروا إلى تونس واختاروا المواجهة مع فرنسا [34].

6 ـ التهجر إلى جزر الأنتيل :

أما البعض منهم فقد تم نفيه إلى ـ **غويانا** ـ بجزر الأنتيل بأمريكا اللاتينية [35].

وفى الختام نورد مقتطف من تقرير رين حول نتائج ثورة 1871م حيث يذكر ما يلى : ( ... شارك فى الثورة عدد313 مابين قرية ودوار ، والذى يمثل ما مجموعه من السكان ما يزيد عن 761.030 نسمة ، يمتلكون خارج الصحراء مساحة تقدر ب 2.589.608هكتار ولهم ثروة غابية ثمنها 91.948.450 فرنك، وقد دفعوا من ناحية ضريبة الحرب مقدار مبلغ 36.582.298 فرنك ، وتخلوا من ناحية أخرى للدولة عن مساحة تبلغ 446.406 والتى تصل قيمتها إلى 18.693.093 فرنك كما دفعوا إلى الخزينة مبلغ 7.933.860 فرنك ، وبإيجاز فإن ضريبة الحرب التى دفع الأهالى ، قد بلغت قيمتها 63.212.252 فرنك ) [36]

وما يمكن أن نخلص إليه هو أن الإستعمار الفرنسى كان إستعمار إستيطانى حيث كان يسعى إلى جعل أرض الجزائر قطعة ترابية لا تتجزء عن البلاد الفرنسية واستخدم فى ذلك عدة أساليب للسيطرة على البلاد والعباد ، وقوبل بمقاومة شديدة لم

يكن ينتظرها ، فتعسف فى أحكامه ضد كل جزائرى وانتقم منهم شر انتقام بالمحاكمات ،والضرائب الباهضة لتفقيرهم ، وسلب أملاكهم بالمصادرات ، ولم يكتفى بذلك بل قرر تهجير الناس من أراضيهم لتخلو له البلاد فينفذ مشروعه الإستيطانى ، بحيث شرد الآلاف من الشعب الجزائرى وقتل الملايين منهم ، وزج بالآلاف فى السجون ، وهجر وأبعد عن الوطن ما يزيد عن 150 الف نسمة إلى جهات أخرى عبر البلاد العربية، وقارة أوروبا، وأستراليا وكليدونيا الجديدة، وجزر الأنتيل بأمريكا الاتينية .

ولا تزال الأبحاث جادة فى هذا الموضوع، وستكشف لنا عن حقائق جديدة وتبوح لنا عن الظلم الذى كانت تمارسه فرنسا الإستعمارية فى حق الإنسان الجزائرى ، وحينها ستبدى لنا الأيام ما لم نتمكن من معرفته الآن .

الإحـــــالات :

1) ـ رحيم محياوي : الاستيطان والتوطين ، الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، والحركة الصهيونية في فلسطين (عنابة : منشورات جامعة باجي المختار ، 2006م) 12 .

2) ـ نفســـه ، 14 .

3) ـ عبد الحميد زوزو : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة ، 1830م ـ 1900م (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984م) 146 .

4) ـ نفســـه ، 152 .

5) ـ نفســـه ، 146 .

6) ـ نفســـه ، 152 .

7) ـ نفســـه ، 156 .

8) ـ الزوبير سيف الإسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر (الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1971م) 86 .

9) ـ نفســـه ، 38 ، 39 .

10) ـ عبد الحميد زوزو : المرجع السابق ، 259 .

11) ـ الزوبير سيف الإسلام : المرجع السابق ، 31 ، 32 .

12) ـ نفســـه ، 101 .

يحي بوعزيز : موقف العائلات الأرستقراطية ، 108

13 ـ نفســـه ، 98 ، 99 .

14) ـ يحي بو عزيز : موقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقرانى (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ،1994م)29 .

15) ـ نفســـه ، 28 ،29 .

16) ـ مصطفى الأشرف : الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983م) 71 .

17) ـ هو محمد أمزيان بن علي ، يكنى ابن الحداد ، لكون أجداده كانوا يمارسون الحدادة ، ولد في صدوق بولاية بجاية سنة 1205هـ الموافق لعام 1790م ، تلقى التصوف من عدة شيوخ منهم : الشيخ عبد القادر التفيشي، والشيخ علي بن عيسى خليفة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري

مؤسس الطريقة الرحمانية بالجزائر ، لازمه مدة 13 سنة ، وكذلك على يد الشيخ المهدي السكلاوي اليراثني ، إمتاز الشيخ محمد أمزيان بصفات الورع والتقوى منذ صغره ، انتخب على رأس الزواية الرحمانية ما بين 1857م ـ 1860م ، إلى أن توفي يوم 29 أفريل 1973م ، ودفن بقسنطينة ، من آثاره رسالة في التصوف ، وشرح منظومة ابن رشد .

18) ـ يحيى بوعزيز : ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد ، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م) ، وقد بلغ مجموع مساحات الأراضي التي صدرت من عائلة الشيخ الحداد أكثر من 50 ألف هكتار، تحتوي على 62 ضيعة فلاحية للحبوب وأشجار التين والزيتون ، وستة بساتين مسقية للحضر ، والأشجار المثمرة ، وسبعة منازل تشتمل على 41 غرفة ، و15 دكانا ، ومخزنا للتجارة ، وثلاثة اسطبلات ، وثلاثة رحوات ، ومعصرة للزيتون ، ومسجد للصلاة ، وبذلك جردت هذه العائلة من كل ما تملك ، ودخلت في طبقة المدقعين من الفقراء ، 323 .

19) ـ أنظر الصالح عباد : المعمرون والسياسة الفرنسية فى الجزائر،1870 ـ 1900م يحيى بوعزيز:وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989م) 42 ، 43 ، 44 ، أنظرA.Furon : bordj bou Arréridj , 68

20) ـ كاليدونيا الجديدة : إقليم على شكل أرخبيل شرق أستراليا ، اكتشفها الرحالة جيمس كوك kok خلال القرن 16م ، تبلغ مساحتها 19 ألف كلم$^2$ سكنها الإنسان الأول منذ 1200 سنة ق.م ، ضمها نابليون الثالث كمستعمرة فرنسية عام 1854م ، وتقرر جعلها مؤسسة عقابية ، وتنفيذ الأشغال الشاقة عام 1863م ، تبعد كاليدونيا عن الجزائر حوالي 22 ألف كلم، عاصمتها لوميا، يسكن الجزيرة خليط من الأجناس ، تعرف مدنيتهم باسم الكاناك أو الكالدوش ، تعتبر مدينة بوراي أكبر مدينة تحتضن الجالية ذات الأصول الجزائرية ، تبعد عن العاصمة لوميا حوالي 160 كلم ، أنظر مزيان وشن: مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ، (دار الكتاب العربي ، ط 02 ، 2007م) 184 .

21)Ernest Mercier : Le bachaga mokrani et les causes de l'insurrection de 1872 , paris , 1900 , 35, 36 ، أنظر يحيى بوعزيز : ثورة 1871م ، 187 ، 188 .

22) ـ طاهر أوصديق : ثورة 1871م ، ترجمة جباح مسعود ، (الجزائر :

23) ـ عمار بوحوش : العمال الجزائريون فى فرنسا ، دراسة تحليلية ،(الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1975م) 85 .( المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1989م) 148 ، 149 .

24 ) ـ مزيان وشـــن : مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ، 147 ، بسام العسلي : محمد المقراني وثورة 1871م الجزائرية (بيروت : دار النفائس ، 1990م) 163 ، 164 ، أنظر: الزوبير سيف الإسلام : ثورة المقراني في حديث مع الأولاد (الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م) 51 .

25) ـ مزيان وشن : إقليم ولاية برج بوعريريج عبر العصور، دراسة تاريخية (برج بوعريريج : دار جيطلي للطباعة والنشر ، 2006م) 166، 167،أنظر صادق دهاش : المرجع السابق ، 24 ، 25 .

26) ـ يحي بوعزيز : ثورة 1871م ، 333

27) le colonel , N. Robin : l'insurrection du la 1871. , en 1871 , (paris : 1901) 139 grande kabylie

أنظر يحي بوعزيز : ثورة 1871م

332 ، أنظر يحي بوعزيز : ثورة 1871م ، 330 ، 331 ، rinn : histoire , 664

28) ـ قائمة بأسماء الأهالي من أولاد عبدي بباتنة الذين قدم في شأنهم طلب إبعادهم إلى كورسيكا بتاريخ 07/ 01/ 1880م ، زوزو: نصوص ووثائق ، 186.

29) ـ يحي بوعزيز : ثورة 1871م ، 333 ، مزيان وشن : مجانة عاصمة إمارة المقرانيين ، 195 .

30) ـ نفســـه ، 333 .

31) ـ يحي بوعزيز : ثورة 1871م ، 332 ، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز ، 163 ، 667 , rinn : histoire .

32) ـ ابراهيم العقون : المرجع السابق ، 47 ، 48 أنظر

jean jaques rager : les musulmans algériens en France et dans les pays islamiques (paris : société des editions , les belles lettres , 1950) 310

33) ـ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية (القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية، 1977م) 02/ 145 .

34) ـ يحي بوعزيز : وصايا الشيخ الحداد ، 103 ، أنظر أحمد توفيق المدني : كتاب الجزائر (الجزائر : البليدة ، نشر دار الكتاب ، دار المعارف ، 1382هـ ـ 1963م) 64 ، 65 .

35) ـ توفيق المدنى : هـذه الجزائر ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، د،ن)156 .

36 ) rinn : régime pénal de l'indigénat en algérie , le séques , tre et la résponsabilité collective , (alger : 1890) 44 , 45.